الحريّة بين المفهوم العام والايزوتيريك

دراسة

الحرية كلمة تغنى بها الشعراء، نظموا لها ما لا يعد من الابيات وكُتب فيها آلاف المجلدات. كلمة تسمع معظم البشر يطالبون بها كل يوم، نسعى للحصول عليها باي ثمن، نعمل جاهدين كل ما في وسعنا لتحقيقها، نضحي بأغلى ما عندنا لنيلها. مع هذا كله نحن نفتقدها. ما ان نحصل على قدر معين من الحرية حتى نجد انفسنا نطلب اكثر واكثر منها.

الحرية، تلك الدرّة الثمينة، مبتغى اهل الارض! كيف نفسرها؟ ما هي ابعادها؟ ما هي حدودها؟ هل هي نافعة ام مضرة؟ ما هي اقصر الطرق للوصول اليها؟ وهل هي مفقودة ام انها في متناول الجميع على السواء ولكننا لا نعي وجودها؟

اسئلة متعددة اجاباتها تكسر العطش، لكنها لا تروي ظمأنا الحقيقي الى الحرية!

لنسأل اولاً ما هي الحرية في المفهوم العادي للكلمة.

الحرية هي في ان يكون للانسان الحق في ان يفكر كما يشاء ويقول ما يشاء ويفعل ما يشاء في اي زمان اراد وفي اي مكان ضمن حدود اللياقة والادب، ودون انتهاك حقوق الآخرين. فنرى المطالبين بها يطلقون غليها اسماء واسماء كحرية القول، حرية الفكر، حرية المعتقد، حرية الصحافة، الحرية السياسية، الى ما هناك من القاب ينعتونها بها وينسبونها الى الحرية. وهذا النوع من الحرية هو ادنى مستويات الحرية، فهو ما يتلاعب به البشر حسب اهوائهم وميولهم. فنراهم يسنون القوانين والدساتير التي تطلق الحريات او تقيدها كل بحسب ظروفه او بحسب اهدافه.

مع كل هذه القيود التي تشح او تزيد، فان للحرية ابعاداً اكثر، ومعاني اكثر ومفهوماً اوسع كما ان منافعها لا تحصى ولا تعد للواعين، ومساوئها لا تحصى ولا تعد للجاهلين، كما انها متوافرة للجميع على السواء ولكن القسم الاكبر لا يعي وجودها فيه اذ ان الحرية وعي، وكلما وعى الانسان، وسع مدار حريته، وكلما جهل، ضاق.

يخبرنا الايزوتيريك، علم انسانية الانسان، رائد علوم المعرفة، علم الحقيقة قبل الواقع، العلم الذي يشمل كل العلوم، علوم انسان المستقبل وعلم الانسان الطامح الى التكامل، ان الحرية الحقة هي تحرر الانسان من الارض خلاص الروح من التجسد. الحرية الازلية التي تمنحها المعرفة وتتوجها الحكمة. تلك الحكمة التي تحوي اسرار الكون واسرار الانسان والتي تبشر عبيرها على العارفين والواقفين الى ملكوتها!

هي الحرية الكبرى التي يبلغها الانسان بعد غبوره درب العبودية الشائك، عبودية المادة، عبودية الجهل، عبودية الشهوات، عبودية العبودية وعبودية الحرية التي يتغنى بها العالم في عصرنا الحاضر.

هي الحرية المبصرة التي تحض الانسان على تخطي حدود المادة وعبور درب الالم كي يصل الى ما وراء المادة والى ما وراء الالم.

تلك هي الحرية الحقة التي تروي عطش الساعين اليها. ولكننا نسأل: ما هي الطريق التي توصلنا الى تلك الحرية؟ فنتوجه بسؤالنا هذا الى الايزوتيريك ويجيبنا: بان اقصر الطرق الى تلك الحرية هي في ثلاثة مبادئ اذا ما وعاها الانسان اختصر الطريق الى الحرية.

وتلك المبادىء الثلاثة هي محبة ووعي في تطبيق عملي.

يفصل الايزوتيريك مبادئه الثلاثة: محبة ووعي في تطبيق عملي (والتي تؤلف اقصر الطرق الى الحرية) بقوله ان الانسان خلق حراً ولكن انغماسه في السلبيات والشهوات الارضية هو ما جعله يفقد حريته ويقيد نفسه بقيود من الجهل وقيود من اللاوعي. اذ على الانسان ان يعمل ويكد ويجاهد كي ينقذ نفسه من تلك القيود ويستعيد حريته المفقودة. ومع كل خطوة على درب الوعي تتسع رقعة حرية الانسان وتكبر مسؤوليته تجاه تلك الحرية. كما يشير علينا الايزوتيريك ان الانسان خيّر بطبيعته ولكن حدود حريته تضيق حسب مستوى وعيه، فكلما ازداد الانسان وعياً ازدادت حريته، ومثالاً على ذلك ان لكل انسان الحق في ان يتعرف الى مكنونات نفسه اوالى مكوناته الباطنية وتلك المكنونات هي اكثر ما تساعده للوصول الى الحرية.

لنفرض اننا احتجزنا شخصاً يعي مكوناته الباطنية او اجهزة الوعي الموجودة داخل كيانه (وداخل كيان كل انسان)، فإننا لن نستطيع ان نمنع فكره من التفكير كما اننا لن نستطيع ان نمنع عنه المشاعر. فنحن نعلم ان للفكر جسماً باطنياً هو الجسم العقلي كما ان للمشاعر جسماً باطنياً ايضاً هو الجسم الكوكبي، فإن وعي الانسان وجود هذه الاجسام الباطنية او اجهزة الوعي الخفية الموجودة فيه فإن احداً لن يستطيع حجز حريته أو تقييدها. فباستعماله الايجابي لتلك الاجسام هو لن يفقد ولو ذرة واحدة من حريته اينما احتجز ومهما تعرض للمصاعب. كما ان التفكير الايجابي والعمل الايجابي والابتعاد عن السلبيات، الابتعاد عنها فكرياً وفعلياً تبعد عن الانسان القيود من اي نوع كانت.

بهذا نستنتج ان طريق الحرية مفتوحة وممهدة الى كل ساع اليها وهي لا تمنح او توهب، بل هي نتيجة سعي حثيث للوصول اليها. هي نتيجة وعي يوسع حدودها ويطلق آفاقها، فما بالنا نتلهى بالقشور، نتلهى بالمطالبة بان نمنح حرية كذا وحرية كذا. فان الحرية الممنوحة من البشر تهزأ من البشر انفسهم. اما الحرية المكتسبة من المحبة والوعي في تطبيق عملي فان احداً لا يستطيع ان يحرمنا منها لانها نابعة من صميم ذواتنا وهي ملك لنا لا يستطيع احد ان يغتصبه منا.

حقاً ان الحرية جوهرة ثمينة لا بل هي الماسة المصقولة الاطراف... من استعملها بمحبة ووعي وحكمة تساعده على انارة طريقه الى الحرية الكبرى الى الانعتاق. اما من استعملها بجهل وبغض وحقد لاهداف انانية، كانت لتجن عليه الويلات والكوارث والضربات... وهذا ما حصل في الزمن الغابر من قارة الاتلانتيد المندثرة، يوم كان الانسان واعياً وحراً الى درجة كبيرة، فاستعمل حريته لاهداف انانية جرت عليه الكوارث والويلات فتدرك السواد الاعظم من بشرية القارة المذكورة الى الحضيض وتراجع وعيه وفقد حريته.

معلومات اوسع معرفة، تجدونها في مؤلفات الايزوتيريك والتي ناهز عددها الاثنين والعشرون كتاباً حتى الآن، كتبها ونسقها الدكتور جوزيف مجدلاني (ج ب م) - رئيس جمعية اصدقاء المعرفة البيضاء، ومؤسس معهد الايزوتيريك في لبنان والعالم العربي - هذه الكتب التي تساعد كل طامح لمعرفة نفسه وكل من شاء الوعي فساراً يتقدم عليه نحو الافضل والأشمل والاكمل.

وفي الختام، يطيب لنا ان نستشهد بما جاء في احد مؤلفات الايزوتيريك:

«ان شخصاً سجين الفضاء خير من آخر حرّ في حدود المادة،

لان الاول يطمح الى الحرية فيما الثاني راض بالعبودية!»

مروان ابي عاد
(الايزوتيريك)

جريدة الديار الثلاثاء ١٧/١٢/٩٠